

تفسير البحر المحيط

@ 209 @ لسان العرب ، أن لا تدخل اللام على ما وقل دخولها على ما ، فلا تقول إن اللام حذفت منه بل إنما أدخلوها على ما تشبيهاً للمنفي بما بالموجب ، ألا ترى أنه إذا كان النفي بلم لم تدخل اللام على لم فدل على أن أصل المنفي أن لا تدخل عليه اللام و { مَّـا كَازُواْ لَّيُّوْاْ مِّنْهُوَ } أبلغ في النفي من لم يؤمنوا لأن فيه نفي التأهل والصلاحية للإيمان ، ولذلك جاءت لام الجحود في الخبر وإلا أن يشاء □ استثناء متصل من محذوف هو علة . وسبب التقدير { مَّـا كَازُواْ لَّيُّوْاْ مِّنْهُوَ } لشيء من الأشياء إلا لمشيئة □ . وقدره بعضهم في كل حال إلا في حال مشيئة □ ومن ذهب إلى أنه استثناء منقطع كالكرماني وأبي البقاء والحوافي . فقوله فيه بعد إذ هو ظاهر الاتصال أو علق إيمانهم بمشيئة □ دليل على ما يذهب إليه أهل السنة من أن إيمان العبد واقع بمشيئة □ ، وحمل ذلك المعتزلة على مشيئة الإلجاء والقهر . ولذلك قال الزمخشري : مشيئة إكراه واضطرار ، والظاهر أن الضمير في { أَكْثَرُهُمْ } عائد على ما عادت عليه الضمائر قبل من الكفار أي يجهلون الحق ، أو يجهلون أنه لا يجوز اقتراح الآيات بعد أن رأوا آية واحدة ، أو يجهلون أن كلاً من الإيمان والكفر هو بمشيئة □ وقدره . . .

وقال الزمخشري يجهلون فيقسمون با □ جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات . قال أو لكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة . . .

وقال غيره من المعتزلة يجهلون أنهم يبقون كفاراً عند ظهور الآيات التي اقترحوها . . . وقال الجبائي { إِلاَّ } أن يشاء الله { يدل على حدوث مشيئة □ إذ لو كانت قديمة لم يجز أن يعلق عليها الحادث لأنها شرط ويلزم من حصول المشروط حصول الشرط والحسن دل على حدوث الإيمان فوجب كون الشرط حادثاً وهو المشيئة . . .

وأجاب أبو عبد □ الرازي بأن المشيئة وإن كانت قديمة تعلقها بإحداث ذلك المحدث في الحالة إضافة حادثة انتهى . وهذه الآية مؤسفة من إيمان هؤلاء الذين اقترحوا الآيات إلا من شاء □ منهم . ولذلك جاء قوله : { إِلاَّ } أن يشاء الله { وهم من ختم له بالسعادة فأمن منهم . . .

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } المعنى مثل ما جعل هؤلاء الكفار المقترحين الآيات وغيرهم أعداء لك جعلنا لم قبلك من الأنبياء أعداء شياطين الإنس والجن أي

متمردى الصنفين { يُوَدَى } يلقى في خفية بعضهم إلى بعض ، أي بعض الصنف الجنى إلى بعض الصنف الإنسى ، أو يوحى شياطين الجن إلى شياطين الإنس زخرف القول ، أي محسنه ومزينه ، وثمره هذا جعل الامتحان فيظهر الصبر على ما منوا به ممن يعاديهم فيعظم الثواب والأجر وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وتأس بمن تقدمه من الأنبياء وأنتك لست منفرداً بعبادة من عاصرك ، بل هذه سنة من قبلك من الأنبياء . وعدو كما قلنا قبل في معنى أعداء . وقال تعالى : { وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } . وقال الشاعر : % (إذ أنا لم أنفع صديقي بوجهه % .
فإن عدوِّي لن يضرهم بغضى .
%) .

وأعرب الجوفي والزمخشري وابن عطية وأبو البقاء هنا كإعرابهم { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ } وجوزوا في شياطين البدلية من عدواً ، كما جوزوا هناك بدلية الجن من شركاء وقد رددناه عليهم . والظاهر أن قوله شياطين الإنس والجن هو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أي الإنس والجن الشياطين فيلزم أن يكون من الإنس شياطين ومن الجن شياطين ، والشيطان هو المتمرد من الصنفين كما شرحناه . وهذا قول قتادة ومجاهد والحسن ، وكذا فهم أبو ذر من قول الرسول له : (هل تعوذت من شياطين الجن والإنس) قلت : يا رسول الله وهل